رؤيــة لـغوية في صـناعة المصطـلح المترجم
ـ أنموذج مؤسسـة (SIM) للمطاحن والعجائن ـ

عمار ساسي
جامعة سعد دحلب ـ البليدة ـ

المقدمة:

إشكالية صناعة المصطلح في اللسان العربي في الراهن تحمل من الأهمية كبراها في ظل سرعة التكنولوجيا الفائقة وتحولاتها المستمرة وانتشارها الواسع الذي مس كل قطاعات الحياة، بسيطها ومركبها وما يزال. وتزداد هذه الأهمية أكثر حين يبدو الواقع اللغوي العربي فيه شيء من الهجونة والعفونة اللغويتين، ننظر إليهما ولا نقدر على دفعهما عن فصاحة اللسان العربي المبين،لا نحن ولا المؤسسات الرسمية المستأمنة على حفظ اللسان في الوطن. نقول هذا والقلب يتألم مع زيادة رقعة الخرق واستفحال الداء في جسم خير أمة أخرجت للناس، وبلسانها أنزل الكتاب العزيز. لهذا أرى أن مسألة صناعة المصطلح عموما والعربي خصوصا تشكل حجر الزاوية الأساس الذي لا يمكننا العبور إلى فعل الترجمة إلا على جسره المتين وقاعدته الصلبة. أو قل إن شئت هو مجاز أساس (passerelle base) نعبر منه إلى عملية الترجمة. ومن هنا نستطيع أن نثبت جملة: (لا ترجمة دون صناعة).

والصناعة مصطلح أصيل وعريق وعميق ودقيق له شرعيته التاريخية في التراث العربي الأصيل، وله حضوره في المنجز العلمي الحديث. أما شرعيته التاريخية، فيمكن تحديدها في عديد من نصوص العصر الجاهلي ومنها في الشعر قول لبيد:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع *** وتبقى الديار بعدنا والمصانع[1]

وقال حسان بن ثابت:

أهدي لهم مدحي قلب يؤازره *** فيما أراد، لسان حائك صنع[2]

وقال الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة *** حتى يصاب بها طريق المصنع[3]

وفي القرآن الكريم جاءت مفردة الصناعة على صيغ متنوعة منها المصدر ومنها الفعل على أزمنته المختلفة في العديد من الآيات منها قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[4] ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[5] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[6]، و﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[7]، وقوله في سحرة فرعون ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[8]، وغيرها من الآيات وهي كثيرة. كما ورد ت مفردة الصناعة في الحديث النبوي الشريف، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم "من صنع إليكم معروفا فكافئوه... فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه".[9]

وفي التراث اللغوي وظف علماء اللغة هذا المصطلح كثيرا في مؤلفاتهم، منهم أبو النصر الفارابي (339هـ) في كتابه الشهير بـ: (الموسيقى الكبير) وهو من أعظم المنجزات العلمية التي صنعها علماء العرب منذ الإسلام إلى يومنا هذا. لقد تناول فيه الفارابي جميع أجزاء الصناعة بوجهيها العملية منها والنظرية. وقسمه إلى جزأين، الأول: المدخل إلى صناعة الموسيقى، والثاني في أصول الصناعة. وجعل الأول في مبحثين: المبحث الأول في تعريف معنى اللحن وكذا أصل صناعة الموسيقى واختلاف هيئاتها العملية والنظرية. والمبحث الثاني في مبادئ المعرفة بصناعة الموسيقى، فعرف الألحان وأصولها والنغم وعددها.

ونذكر منهم العلامة أبا الفتح بن جني (392هـ) الذي وظف المصطلح عنوانا لمؤلفه المسمى بـ: (صناعة الإعراب). وما جاء في مقدمة كتابه (الخصائص) بقوله: "... وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة وينطق به من علائق الإتقان والصنعة، فكانت مسافر وجوهه ومحاسر أذرعه وسوقه..."[10]

كما وظف المفردة الإمام عبد القاهر الجرجاني في مؤلفه (دلائل الإعجاز)، ومن ذلك قوله عنوانا لفصل من فصول الكتاب "في

النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع"[11]، وقوله في تفسير الفصاحة: "... إنها خصوصية في نظم الكلم وضم بعضها إلى بعض على طريق مخصوصة، أو على وجوه تظهر بها الفائدة، أو ما أشبه ذلك من القول المجمل، كافيا في معرفتها، ومغنيا في العلم بها، لكفى مثله في معرفة الصناعات كلها..."[12]، وقوله أيضا: "... وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبر يسم الذي في الديباج، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع، وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع..."[13]

كما وظف المفردة الإمام السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم)، وهو يتحدث عن الشعر وأوزانه، حيث يقول: "... ولا حاكم في هذه الصناعة إلا استقامة الطبع، وتفاوت الطباع في شأنها معلوم..."[14]

أما أبو هلال العسكري فقد جعل مفردة الصناعة عنوانا عريضا على مؤلفه، حيث سماه بـ: (كتاب الصناعتين)، وهو يريد به صناعة الشعر وصناعة النثر.

كما وظف المفردة كثيرا العلامة عبد الرحمان بن خلدون في كتابه (المقدمة)، حيث ميز في أحد أبواب الكتاب بين الكتابة بمفهومها الأدبي، أي القدرة اللغوية في إبداع ما[15]، والكتابة بمفهوم الخط ـزمنهـ من الصناعات المتفردة بنصيبها في تعليم المتعلمين[16]، يقول في تعريفها هي: "رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على معنى في النفس... وهو صناعة شريفة"[17]. وللكتابة بهذا المفهوم فائدة عظيمة، حيث يبينها في عنوان فصل من المقدمة: "الصنائع تكسب صاحبها عقلا، وخصوصا الكتابة والحساب"، ثم يقول: "الصنائع أبدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة... كلها قوانين تنتظم علوما، فيحصل منها زيادة عقل، والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك..."[18]. وقد جاء في فصل آخر عنوانه: "في أن صناعة النظم والنثر أنما هي في الألفاظ لا في المعاني" قوله: "أعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني... فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر، إنما يحاولهما في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله

وجريه على لسانه، حتى تستقر له الملكة... فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيل"[19]. وجاء في موضع آخر قوله: "ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم، والسبب في ذلك أن الصناعة صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية"[20]. والصناعة تفيد إحكام الفعل وفق معاييره الدقيقة المخصوصة، ويكون بذلك أقرب إلى فعل الإتقان، الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[21]. وجاءت إشارة الإتقان في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".[22] ومن العلماء الذين وظفوا مفردة الإتقان عنوانا في منجزاتهم العلمية الإمام جلال الدين السيوطي، حيث وسم كتابه بـ: (الإتقان في علوم القرآن)[23].

يقول الراغب الأصفهاني: "الصنع إجادة الفعل، فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا"[24]. ويرى الإمام التهناوي أن الصناعة اسم للعلم الحاصل من التمرن على العمل. وقد تفسر بملكة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما لنحو غرض من الأغراض صادرا عن البصيرة بحسب الإمكان. والمراد بالموضوعات آلات يتصرف بها سواء كانت خارجية كما في الخياطة، أو ذهنية كما في الاستدلال، وإطلاقها على هذا المعنى شائع...[25]

بين الصنع والإتقان:

قد يتوجه رأينا إلى أن الصنع يخص الكم، وأن الإتقان يخص الكيف. كيف ذلك؟ إن الإتقان هو كيفية أدائية محكمة لفعل الصناعة. فالصنع لا يتحقق إلا بفعل الإتقان، كما أشارت إليه الآية الكريمة. فذاك اسم وهذا فعل. ووضع مفردة (صنع) في الآية المردوفة بفعل(أتقن) هي في غاية الحكمة والدقة. وفي هذا المقام وللبيان تلزم الإشارة إلى التفريق بين المصطلحات التالية: الصناعة والتعريب والترجمة.

فالتعريب يفيد - برأينا - نقل المعنى من لغة أو لغتين أجنبيتين إلى اللغة العربية بكيفية ما من الكيفيات، باعتبار (الهدف)، أي باعتبار

(إلى). أما الترجمة فهي نقل المعنى من لغة إلى لغة أو لغات، باعتبار (الأصل)، أي باعتبار (من)، وهو المنطلق. وعليه فالتعريب كمصطلح تقابله مصطلحات الفرنسة والأنجلزة والجرمنة.. ويكون في خط آحاد:

..... (من) ..... (إلى)

(الاعجمية) ..... (العربية).

قد يشمل التعريب الصوت والمصطلح والبنية التركيبية. وقد يظهر بصورة أخرى شاذة عن العربية، نجتهد في تسميتها لشذوذها بالفرنسية، كمن يعرب لفظة fax بفاكس، أو لفظة société بسوسييتي، أو لفظة général بجينيرال، رغم وجود البديل العربي الفصيح. وهي ظاهرة لغوية بدأت تغزو أفق البلاد العربية وعمقها، وهي تحتاج إلى مزيد من الدراسة الدقيقة والمعمقة والمميزة. وإن كان رأينا لا يوافق ضمها إلى التعريب لخصائصه المميزة، على رأسها الحفاظ على سلامة العربية في أصواتها وبنيتها وميزانها وصيغتها ونظام بنائها. إن اعتماد هذا الشذوذ اللغوي، أو السكوت عنه سبيل آخر من سبل إتلاف معالم العربية الفصحى، والذهاب به إلى نفق الغربة في عقر الدار، كما هو الحال اليوم في بعض بلدان الخليج العربي كالإمارات العربية المتحدة و دولة قطر...

أما الصناعة، فتفيد إيجاد المصطلح وفق معايير مخصوصة من اللسان العربي بمراعاة المعنى الجوهري والصيغة المناسبة والدلالة الكلية والميزان الصرفي والاقتصاد اللغوي ومبدأ أمن اللبس، وثبت الإبانة بجلاء. وتفيد أن رتبة الصناعة (المصطلح) تأتي عقب الاختراع دون فاصل، وهي أشبه بولادة مولود وتسميته. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[26]. والمسألة هي عملية مركبة تركيبا رباعيا متصل الحلقات.

(1- المخترع..... 2- الصناعة..... 3- الترجمة..... 4- التعريب)

الأمر الذي يعني ألا صناعة دون اختراع، وألا ترجمة دون صناعة، ولا تعريب دون ترجمة. كما يمكن تثبيت أن منطلق العملية التركيبية هو الاختراع، وأن الاختراع موقوف على نهضة أمة، وأن

الأمة التي تخترع هي التي تصنع مصطلح مخترعها، لأنها في موقع منتج مرسل. وأن الأمة التي يخترع لها هي التي تنقل المعنى من لغة غيرها إلى لغتها، أي هي تترجم، لأنها في موقع مستهلك مستقبل. وما يصدق على الترجمة يصدق على التعريب بعدها. وللتوضيح أكثر يحسن البيان التالي:

1- مخترع..... 2- صناعة..... 3- ترجمة..... 4- تعريب
(أمة 1)..... (أمة 1)..... (أمة 2)..... (أمة 3)
(إرسال)..... (إرسال)..... (استقبال)..... (استقبال)
(ح نهضة)..... (ح نهضة)..... (ح ضعف)..... (ح ضعف).

وعليه، فسلامة الترجمة في أي قطاع أو تخصص هي من سلامة الصناعة. وأخص هنا أمر اللسان العربي المميز من بين جميع الألسن بالإبانة، وهي من صلب موضوع الصناعة والترجمة والتعريب معا. ويمكن التأكد من هذا بطرح الأسئلة التالية:

- لماذا نصنع المصطلح ؟ والجواب: لنبين عن المعنى.
- لماذا نترجم المصطلح ؟ والجواب: لنبين عن المعنى.
- لماذا نعرب المصطلح ؟ والجواب: لنبين عن المعنى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[27]. ومن هنا تتجلى أهمية الصناعة أساسا في خدمة الترجمة.

وما يهمنا في السياق ذاته هو عرض السؤالين التاليين:

- الأول: ماذا نريد بصناعة المصطلح في اللسان العربي ؟
- الثاني: كيف نصنع المصطلح في اللسان العربي ؟

وجوابا نقول: نريد بصناعة المصطلح وضع التسمية على المسمى (المخترع) وفق قواعد محددة هي: الصيغة والدلالة الكلية والوزن والاقتصاد والإبانة، لتنضبط المفردة على سنن العرب في كلامها.

وما يخرج على هذه القواعد - برأينا- لا يسمى صناعة، إنما نجتهد في تسميته بتسمية غير منضبطة بقواعد الصناعة، وهذا قد يحدث مشاكل ومصاعب في هيكل اللغة النظامي، وقد يجر إلى

اضطراب فيه، وقد يوقع في اللبس كثيرا من التسميات. وهذا أمر معيق لعمليتي التحصيل والتوصيل معا. وما يسمى اليوم بالأخطاء الشائعة في الاستعمال هو في الحقيقة من محصول هذه التسميات غير المنضبطة بقواعد الصناعة. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ويكفي دليلا واضحا ظهور محاولات عديدة في إنشاء معاجم خاصة بالأخطاء الشائعة في اللغة العربية بقصد التنبيه والاستدراك والتصحيح والتصويب.

أما جواب الكيف فيدفعنا إلى بيان مسائل أساسية هي من الثوابت مع بلورة وظيفتها وتجلية مقاصدها. فكما عند الأصوليين قاعدة (الأمور بمقاصدها)، فكذلك عند اللغويين قاعدة (اللغة بمقاصدها). إذ اللغة ليست وضعا واستعمالا فقط، إنما هي وضع واستعمال لمقاصد، أي قل لي ماذا تريد أصوغ لك العبارة. فالمقصد ركن أساس في صياغة اللغة وفق سنن العرب في كلامها. إذ هناك من يجتهد في الإشارة إليه بالحال والمقال والمآل والمنال.

من ثوابت الصناعة:

1- إدراك كنه الفعل (الحدث):

وأريد به الفعل الجوهري أو المركزي في المخترع أو المسمى، إذ إن أصل أي تسمية هو فعل جوهري، بل كل ما يؤدي وظيفة هو قائم على أساس فعل جوهري (حدث). كما لا وجود لمخترع لا يقوم على فعل ولا يصنع صنيعا. فالمسطرة تسطر والمحصاة تحصي والمنسخة تنسخ، وكلها أسماء آلات على وزن مفعلة ومفعال بكسر الميم.

2- معرفة علم الصيغ العربية ودلالاتها الكلية:

وهو علم جليل، ويقال عنه هو ربيب علم الاشتقاق. والصيغة بنية المفردة، تشكل قالبا ثابتا ذا دلالة كلية في بناء اللغة (اللسان العربي).

واللسان العربي لسان اشتقاقي منظم، إذ كل مفردة فيه ذات أصل وفروع. فنظام المفردات في اللغة فيه كنظام الأفراد في المجتمع، إذ كل فرد فيه له أصل وفروع. فهو كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. ولعله لحكمة حكيمة ربط الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، والربط هذا مفتوح على دلالات قائمة وواسعة تظل العقول مشتغلة بها.

وصيغ العربية محدودة وكثيرة، إذ منها المستعمل ومنها المهمل، وهذا الأخير أهمل لثقله أو شذوذه أو انتهاء استعماله. وهو لا يقاس عليه، ولكن يبقى شاهدا تاريخيا مهما يستند إليه في البحث التاريخي للغة.

وأن كل صيغة في اللغة تحمل دلالة كلية، هذه الدلالة الكلية تتسع للزمان والمكان والغرض. فكل ما جاء على وزن (فعالة) بكسر الفاء، دل على حرفة، وكل ما دل على وزن (مفعلة أو مفعال) بكسر الميم، دل اسم آلة. وهنا نتوقف لنقول: إذا كان التطور العلمي والمعرفي نحصي منه نسبة تقارب السبعين بالمائة تكنولوجيا، فإن اللسان العربي يقدر على استيعاب هذا التطور بصيغتين اثنتين هما (مفعلة ومفعال) قياسا. وأن المهن والحرف مهما كان تعدادها وتنوعها في الراهن، بل تصورها في المستقبل، فإن اللسان العربي يمكنه استيعابها بصيغة واحدة هي (فعالة)، وفي ذلك اقتصاد ونظام ونماء وبقاء. ويتم ذلك باستنطاق فعل الحرفة، إذ كل حرفة هي قائمة أساسا على فعل جوهر، ولا وجود لحرفة دون فعلها. ففعل الخياطة خاط، وفعل الزراعة زرع وفعل الحياكة حاك .. وهكذا.

3- الاقتصاد اللغوي والإبانة والنظام:

الاقتصاد هو توازن المجهود والمردود نطقا وخطا، لذلك كانت نسبة الثلاثي من الأفعال أكثر، بينما الثنائي والرباعي والخماسي أقل. وهو مظهر من مظاهر الاقتصاد اللغوي في اللسان العربي. ولا نجد هذا الأمر في اللسان الأعجمي.

أما الإبانة فنريد بها إصابة المعنى الخفي باللفظ الجلي. ونعني به قدرة اللسان على استيعاب المعاني في الوجود باللفظ الموجود الدقيق

والمميز والفريد، من حيث لا تراد ف ولا اشتراك، إثباتا للإبانة ودفعا للبس. ومن الإبانة انتفاء اللبس. وبقدر ما يكون اللسان مستوعبا مساحة واسعة من المعاني في هذا الوجود بمفرداته الخاصة والمميزة، بقدر ما تزداد نصاعة الإبانة فيه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[28]. وتزداد قوته وترسخ صلاحيته لكل زمان ومكان، وليس معطى هذا إلا للسان العربي. كما ننبه في ذات السياق أن ظاهرة التعبير عن المعنى الواحد بالصيغة المركبة من كلمتين في كثير من اللغات الأعجمية هي علامة تنافي مبدأ الاقتصاد اللغوي، وهي أمارة ضعف وعجز في اللغة، لأن التركيب إنما جعل للخطاب والتواصل، والمفردة الخاصة جعلت للتسمية. والتسمية كما يذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني جعلت للإبانة عن المعنى، وللتميز بينها وبين غيرها، وليضم بعضها إلى بعض فتشكل خطابا تحصل به الفائدة، وتفيد به السامع خبرا جديدا لم يكن يعلمه من قبل[29].

أما النظام فهو الهيكل العظمي الذي يشد بناء جسم اللغة، حيث لا يمكن أن يحصل نماء وتطور للجسم خارج هيكله. ويمس نظام اللغة المستويات التالية: الصوتي والصرفي والتركيبي بشقيه النحوي والبلاغي. فاللغة كما يقول الإمام الجرجاني: هي نظام لربط الكلمات بعضها ببعض، فتشكل خطابا يفيد السامع خبرا جديدا. وليس في النظام شيء من العفوية، ولا شيء من العبثية، إذ الكل فيه محكم ومتقن الإحكام. ومن أبرز مظاهر النظام في اللسان العربي خاصية الاشتقاق، وخاصية علم الصيغ المشار إليهما سابقا. ومن هنا كان اللسان العربي لسانا اشتقاقيا، حيث الفروع فيه تعرف أصولها، بل نظام المفردات فيه كنظام الأفراد في المجتمع. وليس فيه ما يسمى بفوضى الأنساب واختلاطها، كما هو الحال في العديد من الألسن الأعجمية. وقد عرفوا النظام بأسس وقواعد مرتبة في حيز، تجري في إطارها الأصوات والمفردات والتراكيب لتؤدي غرض الإبلاغ بين الناس في المجتمع.

وهناك من قال: إن اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وأن اللسان هو النظام المهيمن على ترتيب وتوافق وانسجام

هذه الأصوات لتؤدي غرضها الإبلاغي في أحسن وجه. وأن الخارج على نظام اللغة من صوت أو مفردة أو تركيب يعد شاذا، ويهمل لثقل فيه أو للبس يحدثه، لا ينسجم وطبيعة اللغة. والشذوذ والإهمال هما بمنزلة العقوبة التي يسلطها النظام على من يخالف قواعده ويزعزع استقراره، وهي أشبه بصورة عقوبة الخارج على نظام المجتمع من الأفراد.

وفي سياق بيان التحديد يحسن التوقف عند مصطلح التعريب: ما مراده ؟، وما نقطة تمايزه عن مصطلح الصناعة ؟

وتحسن في البداية جملة: الصناعة غير التعريب، إذ هذا الأخير هو نقل المفردة الأعجمية لفظا ومعنى، من لغة أعجمية إلى العربية مع إلباسها سمات الكلمة العربية من تعريف وتثنية وجمع وإعراب وغيرها. كما تنقل كلمة (technologie) إلى التكنولوجيا، و(fax) إلى فاكس.

ويقابل التعريب مصطلح الدخيل، وهو الذي يدخل العربية بهيئته الأعجمية، ولا يقبل العمل بقواعدها، كالمفردات: (téléphone) تليفون (télécom) تيليكوم.

أما عن كلمة (تكنولوجيا)، فأصلها عربي وهي (التقانة) أو التقنية، بكسر التاء، أخذوها عنا، وبدلوا القاف كافا، بحكم عدم وجود صوت القاف في الأعجمية. فقالوا: تكنيك وتكنولوجية، ثم أخذناها عنهم بلباسها الأعجمي، وقلنا: هذا من التعريب وهو ليس منه في شيء. والأصل ألا يكون في هذه الكلمة تعريب، لأن مرادفها العربي الأصيل موجود صيغة ووزنا ومعنى، وهو تقنية وتقانة، وهي من فعل أتقن، أي أجاد الصنعة وأحكمها. قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[30].

ومن قواعد التعريب:

- ألا نعرب ما له مرادفه الفصيح في اللغة العربية صيغة ووزنا ومعنى.

- نعرب الموجود عندهم المفقود عندنا.
- يحسن الالتزام بثنائية الموجود في لغة1، المفقود في لغة 2.
- إلا نعرب كل شيء أعجمي.

بينما الصناعة هي شيء آخر غير التعريب، وتقوم على ثنائية الموجود الموجود، والمفقود الموجود، أي الموجود في اللغتين 1و2، والمفقود في اللغتين 1و2.

وبعد هذه الوقفة النظرية المبينة، يمكن أن نباشر العمل التطبيقي في المؤسسة الصناعية (سيم) (SIM)، وهي الشركة الصناعية للعجائن (المطاحن)، وهي من الشركات الهامة في السوق الاستهلاكي الجزائري وقد حازت سعة في الانتشار، لصرامتها وجودة منتوجها، قبل أن يفسح المجال إلى غيرها في التخصص والصناعة لتدخل المنافسة.

في مدونة مصطلحات مؤسسة (سيم) (SIM):

ويحسن في البداية اعتماد بعض المصطلحات ترتيبا على مرحلتين هما: 1- مرحلة تنظيف القمح 2- مرحلة الإرسال إلى المهراس الأول والثاني.

تنظيف القمح وهو عادة ما يترجم بمقابله الفرنسي **nettoyage de blé**. والأصل ليس تنظيف، لأن التنظيف، إن أفاد معنى فليس إلا إزالة الدرن عن الشيء بالماء أو بالبخار. بل نذهب إلى القول أنها قريبة في أصواتها من مقابلتها الفرنسية.

جاء في لسان العرب: النظافة النقاوة، والنظافة مصدر التنظيف، والفعل اللازم منه نظف بالضم، نظافة، فهو نظيف: حسن وبهو. وفي الحديث: إن الله نظيف يحب النظافة[31]. ويمكن اعتبار التنظيف بما علق ولصق بالشيء، فهو يحتاج إلى حكه بقوة لإزالته. ويمكن اعتبار التصفية بما اختلط بالشيء، فهو يحتاج إلى فصله وفرزه عنه. ونفضل في هذا المقام فعل (صفى) بالتشديد، وأصل الصفاء خلوص الشيء من الشوب، ومنه الصفا للحجارة الصافية. قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.[32] وقريب منه الاصطفاء، وهو تناول صفو الشيء، والاختيار تناول خيره، والاجتباء تناول جبايته.[33]

وعليه نرجح بدل تنظيف تصفية، فنقول: تصفية القمح وذلك لفصاحته، ولحمله معنى إفراز الشوائب الأخرى عنه، وهذا هو المقصود من العملية.

1 -Nettoyage de blé: les grains de blé doivent être débarrassés de toutes leurs impuretés avant d être envoyés sur le premier broyeur - graines étrangères, graines d'autres céréales pailles, pierres, pièces métalliques, déchets d'animaux (rongeurs, insectes).

وهذا معناه أنه يجب أن تتخلص حبوب القمح من كل الشوائب، قبل أن ترسل إلى أول مهراس: من حبوب أجنبية وحبوب زروع أخرى وقشر وحجارة وقطع معدنية وفضلات الحيوانات (القواضم والحشرلت). (المذكرة)

وقد وظف القرآن الكريم مفردتين قريبتين من معنى الهرس وهما (الهشم) و(الحطم). جاء في لسان العرب: الهشم كسرك الشيء الأجوف واليابس.. وقال اللحياني: الهشم في كل شيء، هشمه يهشمه هشما، فهو مهشوم وهشيم، وهشمه وقد انهشم وتهشم.[34]

قال الراغب الأصفهاني: الهشم كسر الشيء الرخو كالنبات، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾.[35] وقال: ﴿نَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَضر﴾.[36] ويقال: هشم عظمه، ومنه هشمت الخبز. قال الشاعر:

عمر والعلا هشم الثريد لقومه *** ورجال مكة مسنتون عجاف[37]

وقال الراغب الأصفهاني: الحطم كسر الشيء مثل الهشم ونحو، ثم استعمل لكل كسر متناه، قال تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ

وَجُنُودُهُ﴾.[38] والحطام ما يتكسر من اليبس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾.[39- 40]

وقد نلفت إلى أنه في الصيف نحصد الزرع، وأصل الحصد قطع الزرع وزمن الحصاد بفتح الحاء وبكسرها، قال تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾،[41] فهو الحصاد المحمود في إبانه.[42] وبعد الحصد يأتي حدث (الهشم) الذي يفيد كسر الشيء الرخو كالنبات. وعليه فالآلة التي تحصد نسميها (محصدة)، والآلة التي تهشم نسميها (مهشمة) بكسر الميم على وزن مفعلة.

2 -**Broyage**: dissociation progressive de l'albumen des parties périphériques des grains par écrasement et cisaillements des produits entre des cylindres cannèles

وهذا يعني الفصل التدريجي للزلال ولواحق الحبوب عن طريق سحق وقرض المواد بين الأسطوانات المضلعة.

ويحسن مقابلة مصطلح (broyage) بمصطلح (الهرس).

Broyeur (**cylindre cannèle**) يصلح لها مصطلح (**مهراس**) اسم الآلة المهروس بها. وهو أقرب إلى الفصيح في أداء المعنى. وهو أفصح من مصطلح (هراس) الذي عرفت به هذه الآلة.

وجاء في لسان العرب: الهرس الدق، ومنه الهريسة. وهرس الشيء يهرسه هرسا دقه وكسره. وقيل الهرس دقك الشيء وبينه وبين الأرض وقاية، هو دقك إياه بالشيء العريض، كما تهرس الهريسة بالمهراس. والمهراس الآلة المهروس بها. والهريس: ما هرس. وقيل الهريس الحب المهروس قبل أن يطبخ، فإذا طبخ فهو الهريسة. وسميت الهريسة هريسة لأن البر الذي هي منه يدق ثم يطبخ، ويسمى صانعه هراسا.[43] وكل ما يفرزه المهراس بعد عملية الهرس يسمى (هريس)، وهو ما هرس. ولم يجعلوا له مصطلحا دقيقا. ونريد به المجموع الخليط قبل الفرز إلى قشرة ودقيق بأنواعه الصافي وغيره.

3- S**asseur**: machine constituée de tamis inclinés soumis à un mouvement de va-et-vient et d'un système d'entrainement des produits par l'air permettant de les séparer sur la base de leurs propriétés.

وهذا يعني: آلة تتكون من غرابيل مائلة تخضع لحركة ذهاب وإياب، ونظام جذب المواد بواسطة الهواء يسمح بفصلها على أساس ميزاتها.

وقد قابلوها تعريبا بمصطلح (الغربال). وهو برأينا بعيد عن أداء المعنى بتدقيق.

قال الراغب الأصفهاني: الفرق يقارب الفلق، لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق، والفرق يقال اعتبارا بالانفصال، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾.[44] والفرق القطعة المنفصلة، ومنه الفرقة للجماعة المتفردة من الناس.[45]

وما دامت وظيفة الآلة منحصرة في فصل المواد على أساس ميزاتها، وتفريقها عن بعضها، يحسن لها فعل (فرق)، ويحسن لها وزن (مفعلة) بكسر الميم للدلالة على اسم الآلة، وعليه يصير الاسم بالصناعة (مفرقة) بكسر الميم. فيحصل بذلك على الميزان والصيغة الحاملة للدلالة على اسم الآلة، ويحافظ على النظام ويؤكد مبدأ الاقتصاد اللغوي في صناعة المصطلح، وتثبت الإبانة ويؤمن اللبس.

4- **Convertisseur**: machine identique au broyeur, à l'exception des cylindres qui sont lisses.

وقد قابلوها بمصطلح (التحويل)، وهي آلة تشبه المهراس ليس فيها الأسطوانات الملساء. والفعل المركزي الذي تقوم به هو التحويل، غير أن وزن (تفعيل) لا يناسب اسم الآلة. وعليه يحسن صناعة مصطلح (محولة) بكسر الميم، على وزن (مفعلة) لاسم الآلة.

5- **Mouture**: la mouture, opération centrale de la transformation des blés en farines et en semoules, repose sur la mise en œuvre de deux opérations unitaires: une opération de fragmentation, dissociation; une opération d'assurer la séparation des sons et les enveloppes sur le bas de leur granulométrie

وقد قابلوها بمصطلح (الطحن). والطحن هو عملية رئيسية في تحويل القمح إلى فرينة وسميد. وتعتمد في ذلك عمليتين متحدتين: ـ عملية تجزئة وفصل ـ وعملية ضمان فصل النخالة والأغلفة على أساس حجم الحبيبات.

فالطحن هو للعملية، والطحانة بكسر الطاء هي للحرفة، والمطحنة بكسر الميم هي لآلة الطحن...

6- **Claquage**: réduction de la taille des grosses semoules par écrasement entre des cylindres lisses.

ويريدون به: إنقاص الحجم الكبير للسميد عن طريق السحق بين أسطوانات ملساء.

وقد ترجموه بعملية التصفيق والتحويل، وهذا برأينا لا يؤدي الغرض لا بالمعنى ولا بالمبنى. يقول الراغب الأصفهاني: السحق تفتيت الشيء. ويستعمل في الدواء إذا فتت، يقال: سحقته فانسحق.[46] وباعتبار الفعل يحسن مصطلح السحق. أما آلة السحق (claqueur)، فيحسن لها اسم الآلة (مسحقة) بكسر الميم، للآلة الساحقة للسميد. وكون فعل السحق يحصل على صفحة من حديد ملساء، فيمكن أن نلقبه بـ: (الصافحة). يقول الراغب الأصفهاني: صفح الشيء عرضه وجانبه، كصفحة الوجه وصفحة السيف وصفحة الحجر... والمصافحة الإفضاء بصفحة اليد.[47]

7- Sassage: séparation des produits de mouture sur la base de leur forme, de leur taille et de leur densité.

وهو فصل مواد الطحن على أساس شكلها وحجمها وكثافتها. وقد ترجموه بمصطلح (الغربلة). وهذا برأينا غير سديد. وتحسن للمقام مفردة (الفصل)، يقول الراغب الأصفهاني: الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل المفاصل، الواحد مفصل، وفصلت الشاة قطعت مفاصلها.. (ويوم الفصل)، أي اليوم الذي يبين فيه الحق من الباطل، ويفصل بين الناس بالحكم..[48] والآلة التي تصنع فعل الفصل نسميها (مفصلة) بكسر الميم (sasseur)، وهي- برأينا- مفردة أفصح وأدل على المعنى. لكن الواقع الترجمي للمصطلح في المؤسسة بدا فيه شيء الاضطراب الذي يحتاج إلى إبعاده بالبدائل المناسبة باستمرار خشية ألا يحصل التراكم الذي قد يتحول مع الزمن وبالقدم إلى نموذج، فنبني ثقافة علم الترجمة التطبيقي على الخطأ. ولنا مثال ذلك مصطلح (sasseur) فتارة يترجم بـ: (الغربال) وتارة أخرى بـ: (المصفاة).

8- Mélange: d'eau et de semoules et du sel.

ويريدون خلط الماء والملح والقمح لصناعة العجائن. وقد قابلوه بمصطلح (الخليط)، وأقدر عدم توافق كل من الصيغة والوزن في المفردة. ويستحسن كبديل مصطلح (الخلط). يقول الراغب الأصفهاني: الخلط هو الجمع بين أجزاء الشيئين فصاعدا سواء كانا مائعين أو جامدين أو أحدهما مائعا والآخر جامدا، وهو أعم من المزج. ويقال: اختلط الشيء، قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾.[49-50]

أما الخليط فهي الأشياء المعنية بفعل الخلط. واسم آلة الخلط (مخلطة) بكسر الميم على وزن (مفعلة).

9- Roulage:

وقد قابلوا المصطلح بـ: (الدرجة)، وأحسب هذا غير مناسب لا دلالة ولا صيغة ولا وزنا. وأرى المناسب هو فعل (اللف). جاء في لسان العرب: اللف كثرة لحم الفخذين، وهو في النساء نعت وفي الرجال عيب، لف لفا (بالتشديد) ولففا، وهو ألف. ولف الشيء يلفه لفا:

جمعه، وقد التف، وجمع لفيف: مجتمع ملتف من كل مكان.[51] ويقول الراغب الأصفهاني: قال تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[52] أي منضما بعضكم إلى بعض، يقال لففت الشيء لفا، وجاءوا ومن لف لفهم، أي ومن انضم إليهم. وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي التف بعضها ببعض لكثرة الشجر... وسمى الخليل كل كلمة اعتل منها حرفان أصليان لفيفا.[53]

وعليه فالفعل المناسب لكلمة (roulage) هو اللف، واسم الآلة التي تلف (ملففة) بكسر الميم.

10- Refus: du roulage

وقد قابلوه بمصطلح (الرفض). وهو مصطلح جاء بعيدا عن المعنى المراد، فضلا عن أدائه الغرض، ذلك أن معناه واضح هو بقايا العجين التي لم تلف، أو بقايا اللف الصغرى التي أبعدتها آلة اللف (الملففة). واللسان العربي يتوفر على صيغة عربية ذات دلالة كلية هي صيغة (فعالة) بضم الفاء التي تفيد بقايا الأشياء، ويأتي أكثره على ما يفضل على الشيء ويسقط منه. تقول: صبابة أي ما يتفصد من عرق الجبين، وبراية ونفاية ونخالة وقمامة. وهنا يحسن مصطلح (لفافة) بضم اللام، إذا أردت بها بقايا اللف، كما يحسن مصطلح (عجانة) بضم العين، إذا أردت بها بقايا العجين.

الخاتمة:

هذه رؤية حرصت على بيان دور صناعة المصطلح في بلورة سلامة الفعل الترجمي في مؤسسة (سيم) للمطاحن والعجائن بمنطقة متيجة. كما وقفت على الفروق الدقيقة للمصطلحات الثلاث: التعريب والصناعة والترجمة، وأثبتت الترتيب المنطقي التالي: صناعة أولا، فترجمة، ثم تعريب. وفي القسم التطبيقي اجتهدت في بلورة ذلك على عشر مصطلحات تخص المؤسسة من فعل الغسيل إلى الطحين، وانتهت إلى النتائج التالية:

ـ قلة الاهتمام بفعل الصناعة، إن لم نقل الإهمال.

- غياب علم الصيغ تماما عن الفعل التطبيقي في كثير من النماذج، وهذا خطأ نراه استراتيجيا، خصوصا أننا لا نريد بالفعل الترجمي أن يحصل كيف ما جاء، ولو على حساب نظام اللسان، بل نريده أن يكون سليما صحيحا، غير مخل بنظام اللسان العربي وقواعده.

- وجود اضطراب كبير في الترجمة والتعريب في وثائق المؤسسات ودلائلها، وفي القواميس الثنائية المتداولة في كثير من الاختصاصات ومنها مؤسسة (سيم) للمطاحن والعجائن. والسؤال من الذين صنعوا هذه القواميس الثنائية ؟ هل هم الاختصاصيون، أم غير ذلك ؟ وهذا الأمر يفرض توجيه البحوث الأكاديمية إلى هذه الاختصاصات صناعة وترجمة وتعريبا، وإلى اختصاصييها، وأرى أن الظرف مهيأ ومتاح مع النظام التعليمي الجامعي الجديد (ل م د).

- وجوب تفعيل آلتي علم الاشتقاق وعلم الصيغ في فعل الترجمة وفعل التعريب، لضمان السلامة والصحة في الفعلين.

هوامش:

- القرآن الكريم، المصحف الشريف، ورش عن نافع، موفم للنشر 2010.

.....

1- ابن منظور، لسان العرب، المحيط، ج2، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ص483.

2- المرجع نفسه، ج2، ص482.

3- المرجع نفسه، ج2، ص483.

4- سورة الأنبياء، الآية 80.

5- سورة هود، الآية 37.

6- سورة طه، الآية 39.

7- سورة العنكبوت، الآية 45.

8- سورة طه، الآية 69.

9- حديث شريف صحيح.

إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر.

10- أبو الفتح بن جني، سر صناعة الإعراب، دار القلم، دمشق، ص.أ (المقدمة).
11- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار قتيبة، ص93.
12- المرجع نفسه، ص36.
13- المرجع نفسه، ص37.
14- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ص219.
15- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص40.
16- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج1، دار الفكر، لبنان، 1998، ص399.
17- المرجع نفسه، ص397.
18- المرجع نفسه، ص410.
19- المرجع نفسه، ص596-597.
20- المرجع نفسه، ص579.
21- سورة النمل، الآية 88.
22- حديث شريف صحيح.
23- الإمام السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
24- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، ص294.
25- محمد علي التهناوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ط1، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، 1996.
26- سورة آل عمران، الآية 36.
27- سورة النحل، الآية 166.
28- سورة النحل، الآية 166.
29- جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، دارالجيل، 1980، ص32.
30- سورة النمل، الآية 88.

31- ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار لسان العرب، بيروت، ص667.
32- سورة البقرة، الآية 158.
33- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص291.
34- ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص807.
35- سورة الكهف، الآية 45.
36- سورة القمر، الآية 31.
37- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص54.
38- سورة النمل، الآية 18.
39- سورة الزمر، الآية 21.
40- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص122.
41- سورة الأنعام، الآية 141.
42- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص119.
43- ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص896.
44- سورة البقرة، الآية 50.
45- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص391.
46- المرجع نفسه، ص232.
47- المرجع نفسه، ص290.
48- المرجع نفسه، ص395.
49- سورة يونس، الآية 24.
50- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص156.
51- ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص381.
52- سورة الإسراء، الآية 104.
53- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص472.